او احدها ومن المعلوم ان الضمير اذا اريد به غير ما اريد بالظاهر لا يكون بينهما ارتباط ضرورة تخالف معنييهما فلا يصح ان يقال السماء النازل رعيناه ويكون من باب الاستخدام لان السماء في هذا المثال استعمل مبتدا او المراد به المطر بقرينة وصفه بالنازل ورعيناه خبر عن هذا المبتدا فلا بد وان يشتمل على ضمير عايد اليه لضرورة الربط ولا يمكن هنا رجوعه اليه من اجل ان مسمى هذا الضمير لا يصح ان يكون السماء المراد به المطر وهو واضح فامتنع التركيب حينئذ وهو نظير بيت الطغرائي اذا مشينا على تفسير الصفدي ولحق ان المراد بالصفاح معناها المجازي وهو العيون والضمير عايد اليها بهذا المعنى ولا يضرنا عدم اشتمال البيت ح على الاستخدام اذ في ارتكابه فساد المعنى فلا يصار اليه واما الامثلة التي اوردها اهل البديع شاهدة على هذا النوع فلا يلزم فيها هذا المحذور بوجه وتامل ذلك تجده كما قلنا والله اعلم

قال وابدع ما سمعت في الاستخدام ما انشدني من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباته قال انشدني من لفظه لنفسه القاضي زين الدين عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي وانشدنيه لنفسه اجازة القاضي زين الدين فيما بعد ومن خطه نقلت وقد انشد بعض شعراء العصر بيتا له بجمع استخدامين فاستخدم هو اربعة وهو

وربّ غزالة طلعت • بقلبي وهو مرعاها • نصبت لها شباكا من • نضار ثم صدناها •
فقالت لي وقد صرنا • الى عين قصدناها • بذلت العين فاكحلها • بطلعتها ومجراها •

قلت معنى الاستخدامات الاربعة بذلت الذهب فاكحل عينيك بطلعة عين الشمس ومجرى العين الجارية من الماء لانه وطا لهذه المعاني في الابيات المتقدمة واتى بالبيت الرابع فنزل جملته على ما فصل وهذا يدل على الفكر الصحيح والتخيل التام وما عرفت لغيره هذه القدرة في هذا الوزن القصير اقول الاستخدام عبارة عن ان اراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بالضمير الراجع الى ذلك اللفظ الاخر او يراد باحد ضميري ذلك اللفظ احد المعنيين ثم يراد بالضمير الاخر المعنى الاخر هكذا فسره صاحب التلخيص وغيره ومثلوا للاول بقوله

اذا نزل السماء بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •

فانه اراد بالسماء الغيث وبالضمير الراجع اليه من رعيناه النبت ومثلوا للثاني بقول البحتري

فسقى الغضا والساكنيه وان هم • شبوه بين جوانحي وضلوعي •

فانه اراد باحد الضميرين الراجعين الى الغضا وهو ضمير الغيبة المتصل والساكنيه المكان وبالاخر وهو المنصوب في شبوه النار واذا كان كذلك علمت ان الاستخدام انما يتصور بالنسبة الى مجموع الامرين اللذين هما اللفظ والضمير كما في القسم الاول والضميران في القسم الثاني فلا يقال ان في مثل قوله اذا نزل السماء رعيناه استخدامين وانما هو استخدام واحد وعلى هذا فليس في البيت الاخير من ابيات ابن الوردي الا استخدام واحد وذلك ان العين لفظ مشترك بين معان فاطلق الشاعر لفظ الظاهر واراد به احد المعاني ثم اراد بضمايره الراجعة اليه معانيه الاخر وغاية الامر ان هذه الصورة لم ينصوا عليها في الاستخدام لان الذي ذكروه ان اللفظ له معنيان فيراد ان بالظاهر وبالضمير او بالضميرين ومن المعلوم ان في معنى ذلك ان يكون اللفظ له معان فيراد بظاهره معنى ويراد بضمايره بقية المعاني لا فرق في الحقيقة بين الصورتين وسكوت الجماعة عن ذكر هذه الصورة بعينها لا يقتضي عدم اندراجها في كلامهم وعلى الجملة فلم يفسر احد الاستخدام بما يقتضي ان يكون في بيت ابن الوردي استخدامات اربعة فقد بطل الوجه الذي استحسن به الصفدي هذه الابيات وتبين فساده وقد وقع للشيخ جمال الدين

ابن

ابن نباته رحمه الله استعمال كلمة في معان اربعة في بيت واحد حيث قال

افدي اماما حلت صنايعه • بيتي وجيدي وشدتي وفمي

فقوله حلت يدل على معان اربعة وذلك انه من الحلول بالنسبة الى البيت ومن الحلي بالنسبة الى الجيد ومن الحل بالنسبة الى الشدة ومن الحلاوة بالنسبة الى الفم فهذا احسن من قول ابن الوردي اذ هذه المعاني الاربعة يجمعها لفظ واحد مرشح لكل معنى منها بلفظ يخصه في بيت واحد مستقل بنفسه ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده بخلاف الاول فان المعاني الاربعة انما تفهم بعد التوطئة بالابيات الثلاثة وابدع من ذلك قول ابن نباته ايضا

وشقيتها في مكان خلوتها • بخد الحسن ثم قد جمعا
حلت مذاقا ومشربا وحمى • والجيد والشعر والضنى معا

فاستعمل كلمة واحدة في ست معان في بيت واحد كما تراه وليس بعد هذا في الحسن غاية فيما اراه والله تعالى اعلم قال في اثناء الكلام على قوله

ولا اخر بغزلان تغازلني • ولو دهتني اسود الغيل بالغيل

وقال القاضي جمال الدين بن مطروح

ارسلتها والعوالي في الطلا ترد • في موقف فيه ينسى الوالد الولد •
وما نسيتك والارواح سايلة • على السيوف وذا والحرب تتقد •

الوالد على الولد اكثر وحنوه اكثر اقول يجوز ان يكون هذا الكلام جاريا على خلاف مقتضى الظاهر بان يجعل من باب القلب والاصل ان ينسى الوالد الولد ونقول حينئذ بما ذهب اليه السكاكي من انه مقبول مطلقا انما وقع فانه يكسب الكلام حسنا ويكسوه بهجة او نقول هو جار على مقتضى الظاهر واشار بنسيان الولد لوالده الى انه ذهول ذلك الموقف وشدة موقعه في النفوس حيث ذهل الخاطر فيه عن الاستنصار باشفق الناس عليه وارافهم به واشدهم عصبة وانتصارا له وهو الوالد المفطور على محبته الرامي بنفسه في المهلكات لاجله فلم يتذكره اشتغالا بما انطوى عليه ذلك الموقف من المهالك والمشاق فلا نم ح ان الشاعر لو عكس لكان احسن عند الكلام على قوله

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا • في الارض او سلما في الجو فاعتزل

الفا جواب الشرط اتخذ فعل امر فاعله مستتر فيه تقديره انت اقول كثيرا ما يتسامح هو وغيره في جعل الفا جوابا للشرط وهو كلام غير معقول اذ الجواب مسبب عن الشرط ومعلوم ان الفاء لا يمكن تصور ذلك فيها وانما الجواب ما هو واقع بعدها وهي رابطة بينه وبين الشرط وقد انتقد ذلك على النحاة جمال الدين بن هشام وهو واضح قال قاعدة جميع افعال الامر فاعلها يجب استتاره ولا يجوز ابرازه الا ان قصد التوكيد او العطف على الفاعل كقوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وعلى هذا فيرد على الشيخ جمال الدين ابن الحاجب ومن تابعه في قولهم الكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد فان ضمير الفاعل المستتر في الامر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به واجيب بان المراد باللفظ ما كان بالقوة او بالفعل والضماير المستترة في الامر كلها لفظ بالقوة اي في قوة الملفوظ به ولهذا قال الشيخ جمال الدين بن مالك في التسهيل الكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا او تقديرا او منوي معه كذلك اقول فيه نظر من وجوه اما الاول فلان كلامه متناقض لان الضمير المستتر الذي هو فاعل فعل الامر اذ قصد

Copyright King Saud University